

هجرة اللبنانيين إلى أمريكا

الدكتور عبد الرحمن واني*

موضوع الهجرة في العالم قديم قدم التاريخ وهجرة العرب من الموضوعات القديمة. ولقد أخذت العرب الترحال والتجوال في الوراثة من أجدادهم الفنيقيين كما توارثت لهم التجارة من الأسلاف^(١). فقد هاجر القحطانيون إلى شمالي الجزيرة العربية بعد انهدام سد مأرب. ومن القبائل المهاجرة المناذرة والغاسنة وقبائل بني هلال التي هاجرت أفريقيا تحت ظروف كثيرة وأهمها الاقتصادية^(٢).

تعريف الهجرة: الهجرة هي حركة سكانية ينتقل الفرد فيها أو الجماعة من الموطن الأصلي إلى وطن جديد يختاره نتيجة أسباب عديدة منها صعوبة العيش في البيئة التي يعيش فيها كما يدعو الامام الشافعي إلى النزوح عن الوطن الذي ليس فيه رجال العقل والأدب.

"ما في المقام لذي عقل وذي أدب
من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عوضا عمّن تصاحبه
وانصب فان لذيق العيش في النصب
إتي رأيت وقوف الماء يفسده
ان سال طاب وان لم يجر لم يطب"^(٣)

ويقول في موضع آخر:

"إذا قيل في الأسفار ذل محنة
وقطع الفيافي واقتحام الشدائد
فموت الفتى خير له من حياته
بدار هوان بين وأش وحاسد"^(٤)

وللهجرة قسمان، هجرة اختيارية وهجرة إجبارية،

* الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية، بجامعة كشمير.

هجرة اختيارية تتم بالمبادرة الفردية عادة رغبة في الانتقال إلى وطن جديد من أجل الأفضل. وهجرة إجبارية تتم بواسطة قوة خارجية تفرض على غير إرادة الأفراد أو الجماعات كما هاجر ٧٠٠ ألف فلسطيني مثلاً بعد حرب ١٩٤٧ إلى البلدان العديدة. كذلك هناك نمطان للهجرة، هجرة دائمة وهجرة مؤقتة. هجرة دائمة يهاجر الفرد أو الجماعة إلى الوطن الجديد دون عودته إلى موطنه. وهجرة مؤقتة هي حيث يهاجر الفرد أو الجماعة إلى الموطن الجديد بصورة مؤقتة بغية التحصيل العلمي أو تحسين الوضع المالي أو لأسباب سياسية ولكن بعد وقت محدد يعود إلى وطنه الأصلي. أما المهاجر فهو عند جوزيف الهاشم: "إنسان ضاقت به أرجاء وطنه، لا لأنه كره هذا الوطن، بل لأنه وجد نفسه مكرها على تركه. فمثلاً من نير الحكم التركي وتعسف اصحابه إلى شبح الفقر والجوع والفوضى والفساد والحرب الأثيمة والحوادث الدامية، كل هذا أشعر المواطنين في لبنان وسورية بحرج وضيق، فانطلق جماعة منهم يفتشون عن بلاد أرحب حرية واقتصاداً".^(٥)

كانت الهجرة الأولى إلى أمريكا الشمالية فردية من أجل المعرفة وحب الاكتشاف، ثم لم يلبث حتى أصبحت جماعية من العشرات إلى المئات حتى الآلاف في كل سنة. ومن أبرز الأحداث المرتبطة بأولئك الرواد ما يذكره فيليب حتى من أن الأب الياس بن حنا الموصلي الكلداني قام برحلة إلى العالم الجديد استغرقت ٢٣ سنة (١٦٦٠-١٦٨٣) زار فيها عددا كبيرا من البلدان في أمريكا الشمالية والجنوبية، ثم رجع إلى بغداد وألف كتابه الشهير "رحلة أول سائح مشرقي إلى أمريكا" تحدّث فيها عن البلدان التي زارها وثوراتها الهائلة وسكانها وطبائعهم وغير ذلك.

يعدّ انطونيوس البشعلاني أول مهاجر سوري هاجر إلى أمريكا الشمالية عام ١٨٥٤م وقد أقيم له نصب تذكاري في مدينة نيويورك يصفه بأنه المغترب الأول إلى العالم الجديد. ولكن يرى بعض المؤرخين أن بدء هجرة العرب إلى الولايات المتحدة لم يتم بصورة فعلية إلا في عام ١٨٧٨م عند ما وطنت

أول أسرة سورية من دمشق الأراضي الأمريكية وهي أسرة يوسف عربيلي - وكان أوائل العرب السوريين الذين اكتشفوا الفرص الاقتصادية السانحة في الولايات المتحدة من التجار الذين قدموا لزيارة معرض فيلادلفيا الدولي عام ١٨٧٦ وعرضوا المنتجات والبضائع السورية. وكان لمعارض مماثلة في شيكاغو وسان لويس دورا مشابها. وكانت رسائل المهاجرين المفعمة بالحماس والتفاؤل إضافة إلى الأموال المرسلة إلى ذويهم في ربوع الوطن عوامل مشجعة على انطلاق الهجرة السورية إلى العالم الجديد التي تنامت لتصبح هجرة جماعية منذ أواخر القرن التاسع عشر واتخذت شكل موجات متواصلة مختلفة في أسبابها وتكوينها ويمكن أن نعدّ الحقبة الواقعة بين سنتي ١٨٩٨م - ١٩٢٤م حقبة أساسية بالنسبة للهجرة العربية إلى الولايات المتحدة، حيث وصل عدد المغتربين السوريين في عام ١٩١٣م وحده إلى ما يقرب من عشرة آلاف مغترب. هبطت الهجرة بسبب أوضاع الحرب العالمية الأولى لكنها عاودت نشاطها بعد الحرب لتتخفف مجدداً بعد عام ١٩٢٤م بصورة ملموسة إلى بضع مئات وذلك بسبب التشريعات الأمريكية المختلفة. وكانت أكثرية المهاجرين الأوائل من الطوائف المسيحية الشرقية وقد عمل معظمهم باعة متجولين، وهي المهنة التي ترمز إلى التزامهم ورغبتهم بالعودة إلى أوطانهم ولكن منذ عام ١٩١٠م بدأت مرحلة الاستقرار التي اتسمت بهجرة المزيد من النساء وتكوين الأسر في الوطن الجديد وتحول الاستيطان المؤقت شيئاً فشيئاً إلى جاليات مستقلة تمارس الأعمال المتنوعة. وانتقل أكثر من المغتربين تدريجياً إلى صفوف الطبقة الوسطى وبدأوا يندمجون في الحياة الأمريكية ويؤسسون أماكن العبادة الخاصة لهم والصحف العربية والجمعيات والنوادي الأدبية والتعليمية.

وقد جاءت في جريدة نيويورك ديلي تريبيون عام ١٨٩٢م بأن الجالية السورية المهاجرة في نيويورك هي مستعمرة زاهية لمخازن السلع العربية السورية وباعة بالجملة

وباعة جوالين ومقاه ومطاعم وجمعيات وصحف تصدر باللغة العربية.

أما هجرة اللبنانيين والسوريين إلى البلدان الأخرى فهي كندا ودول أمريكا الجنوبية، وبخاصة البرازيل والأرجنتين وشيلي وفنزويلا والمكسيك. ونقلوا هؤلاء المهاجرون لغتهم وأديهم العربي إلى تلك المهاجر البعيدة. وأسباب الهجرة إلى أمريكا الجنوبية تشبه الهجرة إلى أمريكا الشمالية. فقد كانت الهجرة في البداية فردية ثم لم يلبث حتى أن أصبحت جماعية تنمو بصورة متزايدة حتى وصلت إلى الآلاف في بعض السنين. ويظهر أن طلائع الهجرة إلى أمريكا الجنوبية جاءت متأخرة عن مثلتها إلى أمريكا الشمالية بعقدين من الزمن، أي أنها انطلقت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر. ومن أوائل المهاجرين الذين نسمع عنهم رفاق الثائر اللبناني يوسف كرم، الذين رافقوه إلى منفاه في ايطالية ثم غادروها بعد وفاته متوجهين إلى البرازيل بعد عام ١٨٧٠م. أما أوائل المغتربين إلى الأرجنتين فقد جاؤوها من منطقة القلمون منذ عام ١٨٨٢م ثم هاجر إليها مالك منعم من بلدة بيروود عام ١٨٩٠م ولحق به العشرات من أفراد أسرته. غير أن اعداد المهاجرين إلى البرازيل ازدادت بعد توقيع معاهدة الهجرة بين الحكومتين العثمانية والبرازيلية عام ١٩٠٦م في أعقاب زيارة إمبراطور البرازيل (الدون بيدرو الثاني) إلى فلسطين وسورية ولبنان.

لقد عانى المهاجرون الأوائل صعوبات مختلفة تتمثل في اختلاف اللغة والعادات والتقاليد ولكنهم تمكنوا من التغلب على العرقلات ورسخوا مكانتهم في بلدان الاغتراب وفي مجتمعاتهم الجديدة حتى بدأوا يشاركون في مجالات الحياة المختلفة. وهكذا أخذ كارلوس منعم منصب الرئاسة في الأرجنتين وجميل معوض في الاكوا دور. وعمل بعضهم الآخر مناصب وزارية واصحبوا حكام ولايات ورؤساء بلديات وأعضاء في مجالس الشيوخ والنواب وأساتذة في الجامعات ومديري مصارف وشركات ومعامل كبيرة.

ساهم المهاجرون مساهمة بعيد المدى في التجارة والصناعة حتى اصبحوا من الركائز القوية الاقتصادية في بلدان أمريكا الجنوبية. كما أن الجاليات اتجه نحو التعليم الفني والمهني بحيث أصبح منهم المهندسون والأطباء والمحامون والكتاب والمدرسون ومنهم من تفوق في بعض المجالات العلمية وأصبح يتمتع بشهرة كبيرة.

ولم يقتصر المهجريون في نشاطهم على المجالات التجارية فحسب بل دخلوا أيضاً ميادين الحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية فأسسوا النوادي والجمعيات وأصدروا الصحف والمجلات باللغة العربية ولغة البلاد نفسها.

أصدر المغتربون العرب منذ سنواتهم الأولى الصحف والمجلات ليعبروا عن مشاعرهم ويتواصلوا فيما بينهم ومع بلدانهم. كان رواق معرّي أول رابطة أدبية أنشئت في سان باولو وتبعتها "جمعية الخريجين" كما أنشئت "العصبة الأندلسية" عام ١٩٣٣م التي شملت كبار الأدباء والشعراء ومن أشهرهم الشاعر القروي والياس فرحات وشفيق المعلوف ورياض المعلوف وسواهم والتي ظلت تصدر مجلتها الشهيرة طوال عقدين إلى ان احتجبت عام ١٩٥٤م.

أما البواعث وراء هجرة اللبنانيين والسوريين فهي كثيرة ومنهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. الضيق الاقتصادي هو السبب البارز للهجرة لأنّ الفقر والحرمان ما نفع في مداوتها جهد ولا نشاط، فالفلاح الذي لا يعرف قدره اللحم إلا مرة واحدة في السنة وغرفته المظلمة تضيق بالزوج والأطفال والبهائم يسمع الأخبار عن بلاد بعيدة تؤمن الحريات وتوفّر الخيرات تنتابه رعشة تسرى في مفاصله وتجعله كالمحموم يهدي لكلمة الهجرة^(٦).

يشرح توفيق ضعون أحد المهاجرين بواعث الهجرة فيقول إنّ الذين غادروا سوريا نزحوا عنها من الفقر والجور، وقد أموا هذه البلاد وسواها، أي أمريكا، لكي يجمعوا ما يمكنهم بعضه من العيش بهناءة ويحقق لهم البعض الآخر نصيباً من العدل والحرية^(٧). ويقول أحمد قبش بأنّه كانت

الهجرة هرباً من جور الأتراك وطلباً للرزق^(٨). ويقول سليمان عيسى "إنّ من يجوع ويذلّ ينسى كلّ شيء، ويترك وراءه كلّ شيء... غير مبالٍ إلاّ بالبحث عن لقمة"^(٩). ويقول أحد المهاجرين عبد المسيح حداد ما كانت أسباب الهجرة طائفية بل كانت اقتصادية.^(١٠)

وكانت مراكز الإرساليات الأمريكية في لبنان أكثر من غيره من أجزاء سورية فإن عدداً كبيراً من المهاجرين كان من اللبنانيين. وبسبب الإرساليات انتشرت الثقافة الأمريكية وبالتالي جعلت أهل سورية يميلون إلى الحضارة العربية. وكذلك رغب السوريون في عرض سلعهم وتحفهم الفنية في معرضي شيكاغو وفيلاديلفيا كما ذكرت في بداية المقالة.

ودافع آخر هو ضيق مساحة الأرض وكثرة السكان واستتار الأقطاعيين بالأراضي الزراعية وبؤس الفلاح وانتشار الفقر دفعهم إلى انتجاع الرزق في بلدان أخرى. وكذلك كان للأضطهاد الديني والفتن الطائفية التي أثارها الاستعمار من التضيق على الأقليات أثر كبير في الهجرة إلى بلاد تخلص من هذا التعصب ومن تلك الفتن.^(١١)

والسبب الآخر هو الهروب من الالتحاق بخدمة الجيش التركي حيث اشتغل الشباب ليكون كبش الفداء للدفاع عن صفوف الجيش التركي ضد دول الغرب والمعادين للسلطنة التركية.

اغلاق باب التوظيف كسبب مهم لأنه جعل اللبنانيون يؤثرون المهاجرة على البقاء في قراهم حتى يستطيعوا تحقيق آمالهم وتفتح الحياة أمامهم وينعمون بها، فهم براعم نامية تريد أن تؤتي ثمارها وقتاً من الحياة حظها، ولن يكون ذلك إلاّ في اطمئنانهم إلى مستقبلهم الوظيفي.^(١٢)

وشقّ قناة السويس عام ١٨٦٩م قد حوّل طريق التجارة بين الغرب والشرق من هذا البلد، كما أخذت صناعة الحرير التي كانت من أهم صناعات في البلاد آنذاك تضعف بسبب المنافسة الشديدة التي بات الحرير اللبناني يلقاها في الأسواق الفرنسية من الحرير الياباني الذي شرع يتدفق عن

طريق قناة السويس. (١٣)

وكذلك جعلت وسائل النقل البحري الجديدة السفر أكثر ميسورا وأقلّ كلفة كما كان من قبل، شجعت السكان على الهجرة^(١٤). وكانت أخبار هجرات الأوروبيين إلى أمريكا تصل إلى لبنان فشجعت أبناء السورية على المغامرات ولاكتساب ثروات مساعدة أنفسهم وعائلاتهم المحتاجة كما تقول دكتورورة نادرة سراج عن دور الصحف التي لعبت في تلك الحقيقة من الزمان في تشجيع اللبنانيين والسوريين على الهجرة. (١٥)

وتحت هذه الظروف السياسية والاقتصادية والتشجيعية نزح اللبنانيون والسوريون إلى الولايات المتحدة الأمريكية الشمالية والجنوبية في نشدان الحرية. وأهم سبب للمهاجرة كان سوء الحالة السياسية التي أثرت على جميع مظاهر الحياة اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وما إلى ذلك.

المراجع والحواشي:

١. محمّد مصطفى هدارة: التجديد في شعر المهجر، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٩٥٧، ص: ٣٠
٢. سمير بدوان قطامي: الياس فرحات، دار المعارف بمصر ١٩٧١، ص: ٥٨
٣. جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، معهد الدراسات العربية العالية - ١٩٥٦م، ص: ٣
٤. نفس المرجع والصفحة نفسها.
٥. جوزيف الهاشم: المفيد في الأدب العربي، الجزء الثاني، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت ١٩٦٤م، ص: ١٣٣
٦. جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص: ٢٣
٧. محمّد مصطفى هدارة: التجديد في شعر المهجر، ص: ٣٣
٨. أحمد قبش: تاريخ الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت، لبنان ١٩٧١م، ص: ٢٨٣
٩. سليمان عيسى وزملاءه: الأدب العربي الحديث، الجزء الثالث، المطبعة التعاونية بدمشق، ١٩٧٠، ص: ٣٠٧
١٠. عبد المسيح حداد: انطباعات مغترب في سورية، دار اليقظة العربية، دمشق ١٩٦٢، ص: ٢٠٣

١١. عبد الرحيم محمود زلط: العروبة في شعر المهاجر الأمريكي الجنوبي،
دار الفكر العربي، بدون تاريخ، ص: ٧
١٢. محمّد مصطفى هدارة: التجديد في الشعر المهجر، ص: ٣٢
١٣. سليم الحص: الهجرة من لبنان، تاريخها وأسبابها، مقالة ظهرت في مجلة
"الأبحاث" تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، أزار ١٩٥٩م، ص:
٦٨
١٤. نفس المرجع، ص: ٦٩
١٥. نادرة سراج: شعراء الرابطة القلمية، دار المعارف بمصر ١٩٥٦م، ص:
٤٤